إبدال الياء جيما في بعض اللغات العربية

وقد أطلق عليها علماءُ اللغة العرب: اسمَ العجعجة، وتعني عندهم: إبدالَ الجيم مكان الياء في الوقف فإذا وصلوا أسقطوها في الدرج.

والعلة: أنها خفية فأبدلوها أبينَ الحروف وذلك قولهم: تميمج يريدون تميمي، وهذا عليج يريدون علي، قال سيبويه: وسمعت بعضهم يقول: عربانج يريدون عرباني[1].

واختلف النقل عن علماء العربية في الياء المبدلة جيما، هل في الخفيفة نحو القاضي أم الثقيلة نحو تميمي؟

ويظهر من كلام سيبويه أنه أطلقها لتشمل كل ياء خفيفة أم ثقيلة إلا أنه قد مثل للثقيلة فقط كقوله: وذلك قولهم هذا تميمج يريدون: تميمي... وسار من جاء بعده من النحاة مرة يقولون بها في الخفيفة، ومرة يخصونها بالثقيلة كياء النسب، وأحيانًا يخلطون بينهما.

والذي يهمنا من جميع ذلك هو عزوهم هذه الأنواع من الاستعمالات إلى أصحابها من قبائل العرب:

١- تقلب الياء المشددة للنسبة وغيرها جيما عند طيء وبني حنظلة وقضاعة[2].

٢- قلب الياء الخفيفة جيما، وخصوها ببني دبير من بني أسد خاصة وبعض أهل اليمن[3].

٣- وتقلب الياء شديدة أم خفيفة وقد عزوها إلى ناس من تميم وبني سعد[4].

---

(١) الكتاب ٢: ٢٨٨، المزهر ١: ٢٢٢.

(٢) الإبدال اللغوي ١: ٢٥٧، المزهر ١: ٢٢٢.

(٣) النوادر ١٦٤.

(٤) شرح الشافية ٢: ٢٨٧، الصاحبي: ٣٧.

٤- وهناك من نسبت إليهم هذه الظاهرة دون تقييدها بالشديدة أو الخفيفة وهم بنو فقيم[١].

وقد استشهدوا على جميع هذه الوجوه ببعض أقوال للعرب: فمن ذلك ما رواه ابن جني إذ قال: قرأت على أبي علي عن أبي بكر عن بعض أصحاب يعقوب بن السكيت عن يعقوب قال: قال الأصمعي: حدثني خلف قال: أنشدني رجل من أهل البادية وقرأتها عليه في الكتاب:

عَمِّي عُوَيْفٌ وأَبُو عَلِج ... المُطْعِمَانِ اللَّحْمَ بِالعَشِج

وبِالغَدَاةِ كِسَرَ البِرْنِج ... تُقْلَعُ بِالودِّ وبالصَّيصِج(*)

يريد أبو علي، وبالعشي، وبالصيصية، وهي قرون البقر.

وقال: يطير عنها الوبر والصهابجا(**).

يريد الصهابي منَ الصهبة[٢].

وقال المفضل: وأنشدني أبو الغول هذه الأبيات لبعض أهل اليمن:

يَارَبِّ إنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حَجَّتِجْ ... فَلاَ يَزَالُ شَاحِجٌ يَأْتِيكَ بِجْ

أَقْمَر نَهَّاتٌ يُنَزِّي وَفْرَتِجْ(***)

أراد: حجتي، ووفرتي، وبي؟

وقال أبو عمرو بن العلاء: قلت لرجل من بني حنظلة: ممن أنت؟ فقال: فقيمج قال: قلت: من أيهم؟ قال: مرج، يريد فقيمي ومري[٣].

---

(١) الكتاب ٢: ٢٨٨.
(٢) سر الصناعة ١: ١٩٢ وما بعدها.
(٣) سر الصناعة ١: ١٩٣، شرح الشافية ٣: ٢٩٩، الممتع في التصريف: ٣٥٤.
(*) هذه أبيات لرجل من بني سعد.
والكسر: القطع من الشيء. والبرني: نوع من أجود أنواع التمر ملتصق بعضه ببعض. والود: لغة في الوتد على لغة بعض بني تميم. والشاهد: إبدال بني سعد الياء المشددة أو المخففة جميعًا في الوقف.
(**) البيت نسبه ابن جني في سر الصناعة ١: ١٩٢ إلى همميان بن قحافة السعدي وهو راجز إسلامي محسن. والصهابي من الشعر، والوبر: الذي فيه شقرة. والشاهد في صهابجا وأصله صهابي حذف إحدى الياءين وقلب الثانية جيما.
(***) قال العيني قائله: رجل من اليمنيين، وقال المفضل: أنشدني أبو الغول هذه الأبيات لبعض أهل اليمن وهو من الرجز المسدس. الشاحج: البغل أقمر: أبيض. نهات: النهاق. ينزي: يحرك. والوفرة: الشعر إلى شحمة الأذن.

ولعل حرصهم على البيان مع خفاء الياء حين الوقف قد دفع بعضهم إلى قلب هذه الياء جيما في الوقف وشاعت هذه الظاهرة حتى وجدنا من بعضهم -للسبب نفسه- يقلبون الياء جيما -أيا كان موقعها- شددت أم لا.

قال يعقوب: بعض العرب إذا شدد الياء جعلها جيما.

وأنشد ابن الأعرابي:

كأن في أذنابهن الشولّ من عبس الصيف قرون الأجل(*)

يريد قرون الأيلّ .....(١).

ونسبوا إلى الحجاج قوله: حَتّى إذَا مَا أَمْسَجَتْ وَأَمْسَجَا(**).

يريد: أمسيت وأمسيا.

وبتأملنا فيمن نسبت إليه هذه الظاهرة اللهجية نرى أنها قد شملت مساحةً واسعةً من منازل القبائل العربية شمالاً وجنوبًا شرقًا وغربًا مما نرجِّح معه أنها قد كانت سمةً لهجية لطائفة لا بأس بها من قبائل العرب.

وأرى أنه لا تناقض بين عزوها إلى بعض أهل اليمن سواء أكانوا من قضاعة أم من طيء، وبين عزوها إلى قبائل الأمم العربية الشمالية كتميم وأسد ومن إليهما من بطون كفقيم وحنظلة وبني دبير... وذلك من ناحيتين:

فإما أن تكون الظاهرة بدوية وحينئذ فلا غرابة في أن طبيعة البداوة قد قادت إلى مثل ذلك الإبدال.

---

(١) سر الصناعة ١: ١٩٣، الممتع في التصريف ٣٥٢.

(*) نسبوا البيت إلى أبي النجم العجلي من أرجوزة وصف فيها الإبل لهشام بن عبد الملك. والشول: الناقة التي تشول بذنبها أي ترفعه. والعبس: ما يبس على هلب الذنب من البول والبعر. والأيلّ: ذكر الأوعال: والشاهد: قلب الياء المشددة في الأيل جيما مع أنها ليست طرفًا.

(**) هذا البيت من مشطور الرجز، وهو من شواهد سر الصناعة ١: ١٩٤، وقد نسبوا البيت إلى العجاج، والشاهد فيه: قلب الياء جيما ولو لم تتطرف أو تشدد ولذا حركت بالحركة التي كانت للياء، فإن الأصل أمسيت وأمسيا، وقيل أنها بدل من ألف «أمسى» وساغ إبدالها من الألف لكونها مبدلة من الياء وإن كانت الجيم لا تبدل من الألف وإنما كان هذا أشذ لأنهم جعلوا فيه الياء المقدرة كالملفوظة.

وإما أن تكون الظاهرة قـد نشأت أولا على ألسنة أحد الفريقين مـن الشمال أو الجنوب ثم أدى الاتصال الذي قد كان بين أبنائهـما إلى فشو هذه الظاهرة في نطق من لم تكن لهجته قديمًا، إذ معروف- وفق قوانين الصراع اللغوي التي تحدثنا عنها فيمـا سبق- أن اللهجتين إذا تجـاورتا وتوفر لإحداهما بعض عـوامل القوة أو بسط النفوذ، أو اشتبكتـا مع بعضهما- تحت أي ظرف سياسي أم اقـتصادي -فإنه يؤدي إلى تأثر إحداهما بالأخرى ولن تخرج كل منهما سليمة صافية.

إذا علمنا ذلك تأكد لنا أن لهجة طيء الجنوبية قد أثرت أو تأثرت هي نفسها في لهجـات أسد وبني دبير ومن وراءهم أو تأثـرت بهم، فالقوم قـد تجاوروا في بقع مـتقـاربة، ولاشك أنه قـد حدث بينهم صـراع سـياسي نتج عنـه تأثر لهجـاتهم ببعضها، ومع أن علماء العربية قد اختلفوا في هذا الإبدال -متى يكون- وصلا أم وقفا؟ فـإنني لست مع من ذهب إلى التأكيـد على أن ذلك إنما هو خاص بالوقف فقـط، وإن كانت العلة- وهي الحـرص على البيـان نظرًا لخفـاء صوت اليـاء عند الوقف مما يدفع البدوي إلى إبدالها من الجيم قصدًا إلى الوضوح- ظاهرة في حالة الوقف، إلا أنني أزعم -مع ذلك- أن ذلك قد نقل عن العرب ورواه عنهم الثقات من علماء العربية وليس بضرورة إذ لا ضرورة مـثلا في قول العجاج: حتى إذا ما أمسجت وأمـسجا.. البيت. وقول أبي النجم العـجلي: كأن في أذنابهن الشول. البيـت، تدعو إلى إبدال حـرف من حرف اللهم إلا ضـرورة الحرص على البـيان والبعد عن الخفاء في الياء مهما كان موقعها.

ولاشك في أن تلك هي الضرورة الداعية إلى قلب الياء جيمًا في الوقف.

****